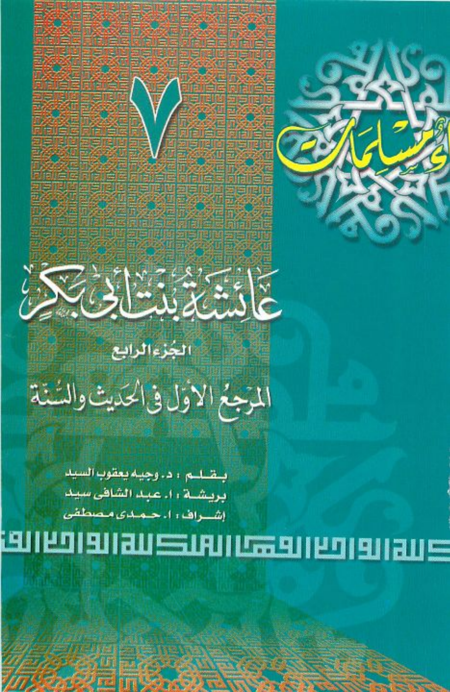

٧
عائشة بنت أبى بكر
الجزء الرابع
المرجع الأول فى الحديث والسنة
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

بعدَ أنْ أنزلَ اللّهُ براءةَ (عائشةَ رضى اللّهُ عنها) ، عادتْ إلى بيتِ الرسول ﷺ ، لتُشيعَ فيه البهجةَ والسرورَ ، بما كانتْ تملكهُ منْ روحٍ جميلةٍ ودعابةٍ بريئةٍ ، عادتْ لتملأَ حياةَ الرسول ﷺ بالحبِّ والمودَّة ، وكانَ الرسولُ ﷺ يقولُ لها :

ـ حبك يا (عائشةُ) فى قلبى كالعروةِ الوُثْقَى .

وكانتْ (عائشةُ) يُسعدها ذلكَ ، وتباهى به زوجاتِ النبىِّ ﷺ وتقولُ :

ـ أيةُ امرأةٍ كانتْ أحظَى عندَ زوجٍ منى !

ولمْ يكنْ حبُّ الرسولِ ﷺ لـ (عائشةَ) يخفى على أحدٍ ، فقدْ سألهُ (عمرُو بنُ العاصِ) مرةً :

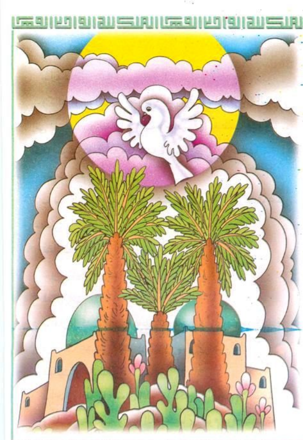
ـ يا رسولَ اللّه ، مَن أحبُّ الناسِ إليكَ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ (عائشةُ) .

فقال (عمرُو بنُ العاصِ) :

ـ مِنَ الرجالِ ؟



فقالَ ﷺ :

ـ أبوها .

وكانَ الرسولُ ﷺ يحرصُ على إرضائِها وإدخالِ السرورِ إلى قَلبِهـا ، وعندمَا كانتْ (عائشةُ) تغضبُ منهُ ﷺ ، كان يعرفُ ذلكَ منْ حديثِها ، فيسارعُ إلى إرضائِها .

فذاتَ يومٍ قالَ لها ﷺ :

ـ إني لأعلمُ متـى كنتِ عني راضيـةً وإذا كنتِ عليَّ غضْبَى .

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ ومنْ أينَ تعرفُ ذلكَ ؟

فقالَ ﷺ :

ـ أمَّا إذا كنتِ راضيةً فإنكِ تقولينَ : لا ، وربِّ (محمدٍ) ، وإذا كنتِ غضبَى قلتِ : لا ، وربِّ (إبراهيمَ) .

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ أجلْ واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، ولكنْ ما أهجرُ إلا اسمكَ .

وظلتْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) تقومُ بواجبها نحوَ

زوجها ﷺ فتأسو جراحهُ وتداوى آلامهُ ، وتقفُ خلفهُ فى مراحلِ الدعوة إلى اللّه ، فتشيرُ عليه بالرأى ، وتحفظُ عنهُ ما يقولُ وما يفعل حتى تبلغهُ إلى المسلمين فيعملُوا به .

ولما شاءتْ إرادةُ اللّه أنْ يقبضَ إليه حبيبهُ المصطفى ﷺ ، بعدَ أنْ أدّى الأمانةَ وبلّغَ الرسالةَ ونصحَ الأمةَ ، كانتْ (عائشةُ) بجوارِه تداويه وتخففُ عنهُ ، وتدعو اللّهَ أنْ يشفيَهُ ويُذهبَ ما به من سقامٍ .

فقدْ مرَّ الرسولُ ﷺ بـ (عائشة) ، فوجدها تشكُو ألـمًا في رأسها وتقولُ :

ـ وا رأساه .

فقال لها ﷺ :

ـ بلْ أنا واللَّه يا (عائشةُ) وا رأساه .

لكنَّ ألمَ الرسول ﷺ لم يكنْ قـد اشتدَّ إلى الحدِّ الذى يلزمُه الفراشَ ، أو يمنعُهُ منْ مداعبة أهله والتلطُّف معهمْ ، فلما كرَّرتْ (عائشةُ) الشكوى منْ رأسها ، قالَ يداعبُها : وما ضرَّكِ لوْ متِّ قبلى ، فقمتُ عليك وكفنتك ، وصليتُ عليك ودفنتك ؟

وأثارتْ هذه الدعابةُ فى نفس (عائشةَ) الغيرةَ فقالتْ :

ـ ليكنْ ذلكَ حظَّ غيرى ، واللَّه لكأنِّى بكَ لوْ قدْ فعلتَ ذلكَ ، لقدْ رجعتَ إلى بيتى فأعرستَ فيه ببعض نسائكَ .

وكـأنَّ (عـائشـة) كـانـت تريـدُ أنْ تعرفَ حبَّ الرسـول ﷺ لها وتسمعَ منهُ ما يرضيها ، لكنَّ الرسول ﷺ أحسَّ باشـتـداد المرض عليـه فـجـأةً فـتـوقف عنْ مـداعـبـتـه لـ (عـائشـة) ، فلمـا سكنَ عنهُ الألمُ بعضَ الشىء قـامَ

يطوفُ بأزواجه كما عودَهُنَّ ، لكنَّ الألمَ جعلَ يشتدُّ عليه ، فاستأذَنَ منْ أزواجه أنْ يبقَى فى بيت (عائشةَ) فى فترة مرضه ، فأذنَ لهُ أزواجُهُ بذلكَ ، فخرجَ ﷺ عاصبًا رأسهُ ، يعتمدُ فى مسيرته على (علىِّ بن أبى طالب) وعلى عمه (العباس) ، وقدماهُ لا تكادان تحملانه حتى دخل بيت (عائشة) ، فمكثَ عندها طيلة فترة مرضه .

وانتقل النبيُّ ﷺ إلى بيت الحبيبة لتمرِّضَهُ وتداويه ، ولـمَّا جاءَ وقتُ الصلاةِ لم يستطعْ أنْ يقومَ ويصلِّي بالناسِ فقالَ :

ـ مُرُوا (أبا بكرٍ) أنْ يصلِّيَ بالناسِ .

فقالتْ (عائشةُ) :

ـ يا رسولَ اللّه ، إنَّ (أبا بكرٍ) رجلٌ ضعيفٌ ، وإنهُ متى قامَ مقامَكَ لمْ يصلْ صوتُهُ إلى المسلمينَ ، فلوْ أمرتَ (عمرَ) .

فقالَ ﷺ :

ـ مُرُوا (أبا بكرٍ) أنْ يصلِّيَ بالناسِ .

ووضعَ الرسولُ ﷺ رأسَهُ في حجرِ (عائشةَ) ، وراحتْ تتأملُهُ بدهشةٍ وهي تراهُ يشخصُ ببصرِهِ إلى السماءِ ويقولُ :

ـ بلِ الرفيقُ الأعلَى منَ الجنةِ .

وأدركتْ (عائشةُ) أنَّ الرسولَ ﷺ قدِ اختارَ جوارَ ربِّهِ ، فقالتْ وهي تضعُ رأسَهُ على الوسادةِ :

ـ خُيِّرتَ فاخترتَ والذي بعثكَ بالحقِّ .

ولم يصدّق المسلمونَ النبأَ ، أحقًا ماتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؟
وهنا قامَ (أبو بكرٍ الصديقُ) بأعظمِ دورٍ في تاريخِ الإسلامِ
فقدْ قالَ في يقينٍ :
ـ أيهَا الناسُ ، إنهُ منْ كانَ يعبُدُ (محمدًا) فإنَّ (محمدًا)
قدْ ماتَ ، ومنْ كانَ يعبدُ اللَّهَ فإنَّ اللَّهَ حيٌّ لا يموتُ .
ثم تلاَ عليهمْ قولَهُ (تعالَى) :
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ

مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ .

[آل عمران : ١٤٤]

وأفاق المسلمونَ علَى هذه الحقيقةِ الأليمة ، ولأول مرة تنهمرُ دموعُهم بهذه الغزارة ، وتُظلمُ الحياةُ أمامَهمْ وقالُوا :

ـ واللَّه ، لكأننا نسمعُ هذه الآيةَ لأول مرة ، وما نعلمُ أنها نزلتْ إلا حينَ قرأهَا (أبو بكرٍ) .

وعاشتْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) بعدَ الرسول ﷺ زمنًا طويلاً ، وأصبحتْ خلالَ هذا الزمنِ المرجعَ الأولَ للمسلمينَ في الحديث والسنة والفقه ، حتى قالَ العلماءُ عنهَا :

ـ لقدْ حفظتْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) نصفَ أحكامِ الشريعة .

ولمْ تعشْ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) بمعزلٍ عما يحدثُ علَى الساحةِ الإسلاميةِ ، فقدْ شاركتْ في الأحداثِ مشاركةً إيجابيةً ، وكانَ لها موقفٌ معروفٌ ، فبعدَ أنْ حاصرَ الثوارُ والمتمردونَ بيتَ (عثمانَ بنِ عفانَ) وقتلوهُ ظلمًا وبغيًا ، جاءَ الخبرُ إلَى (عائشةَ) وهيَ في طريقهَا

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم

ولكن رسول الله وخاتم المرسلين

إلى مكةَ حيثُ لقيهَا (عُبَيْدُ بنُ أبى سلمةَ) فقالتْ لهُ :

ـ ما وراءَكَ ؟

فقالَ :

ـ قُتلَ (عثمانُ ﷺ) بأيدى البُغاةِ الأشرار .

فسألتهُ قائلةً :

ـ وماذا صنعَ الناسُ بعدَهُ ؟

فقالَ :

ـ اجتمعَ رأيهمْ وبايعوا (عليَّ بنَ أبى طالبٍ) .

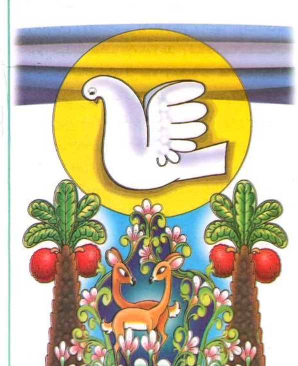
فقالتْ :

ـ قتلَ (عثمانُ) مظلومًا ، واللَّه لأطلبنَّ بدمه .

واجتمعَ عددٌ كبيرٌ منَ المسلمينَ طالبينَ الثأرَ لـ (عثمانَ) ، فلما علم (عليُّ بنُ أبى طالبٍ) ، وكانَ أميرَ المؤمنينَ وخشىَ أنْ تتفاقَمَ الأُمورُ ، وقالَ :

ـ إنها ستكونُ فتنةٌ وسأُمسكُ الأمرَ ما استمسكَ بيدى .

وكانتِ السيدةُ (عائشةُ) على جملٍ فى هودجٍ تراقبُ ما يحدثُ فى أثناءِ المعركـةِ ، وسميتِ المعركـةُ باسمِ « واقِعَةِ الْجَمل » ، ولمَّا انتهتِ المعركةُ لصالحِ (عليِّ بنِ



أبى طالب) ، أمر جنودَه أنْ يحسنوا إلى أمّ المؤمنين (عائشة) ، وقدْ أحسن الإمامُ (علىٌّ) إليها ، ولمَّا كانَ يومُ رحيلها حضر الإمامُ (علىٌّ) ليودعَها بنفسه ، وأحستْ (عائشةُ) بما فى نفس (على) منْ عتاب فقالتْ :

ـ يا بنىَّ ، لا يعتبْ بعضٌ على بعض ، إنهُ واللَّه ما كانَ بينى وبينَ (على) فى القديم ، إلاَّ ما يكونُ بينَ المرأة وأحمائها ، وإنهُ على مَعْتَبتى لمنَ الأخيار .

فقالَ (علىٌّ) :

ـ أجلْ واللَّه ، ما كانَ بينى وبينها إلاَّ ذاكَ ، وإنها لزوجةُ نبيِّكُم فى الدنيا والآخرة .

وبقيتْ (عائشةُ رضى اللَّهُ عنها) تشاركُ فى الأحداث السياسية والاجتماعية ، وتجتهدُ رأيها ما استطاعتْ ، فإنْ أصابتْ فلها أجران ، وإنْ أخطأتْ فلها أجرٌ واحدٌ ، كما قالَ رسولُ اللَّه ﷺ .

وقدْ تُوفيتْ (رضى اللَّهُ عنها) عنْ عمر يناهزُ السادسةَ والستينَ وذلكَ عامَ سبعة وخمسينَ للهجرة ، وصلَّى عليها (أبو هُريرةَ رضي الله عنه) ، ثمَّ دُفنتْ بالبقيع مع أمَّهات المؤمنينَ .

ولئنْ كانتْ (عائشةُ) قدْ انتقلتْ إلى جوارِ ربِّها ووَدّعها المسلمون ، فقدْ تركتْ من العلْمِ الغزيرِ والأحاديثِ الشريفةِ ما يذكّرُ المسلمين بها في كلِّ حينٍ ،

فلا يخلُو كتابٌ منْ كتبِ الأحاديثِ منْ حديثٍ روَتْهُ (عائشةُ رضيَ اللَّهُ عنها) عَنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ويكفي أنَّ الرسولَ ﷺ أوْصَى المسلمينَ بأنْ يأخذُوا عنها العلْمَ فقالَ ﷺ :

ـ خذُوا نصفَ دينكُمْ عنْ هذهِ الْحُمَيْراءِ .

وقالَ ﷺ :

ـ كَمَلَ منَ الرجالِ الكثيرُ ، ولمْ يكمُلْ منَ النساءِ إلاَّ (مريمَ ابنةَ عِمرانَ) ، و (آسيةَ) امرأةَ (فرعونَ) ، و (خديجةَ بنتَ خويلدٍ) ، و (فاطمةَ بنتَ محمدٍ) ، وفضلُ (عائشةَ) على النساءِ كفضلِ الثريدِ على سائرِ الطعامِ ..

رحمَ اللَّهُ أمَّ المؤمنينَ (عائشةَ) رحمةً واسعةً ، ونفعَ المسلمينَ بسيرتِهَا العطِرَةِ ، وجعلهَا قدوةً لنسائنَا وبناتنَا وأخواتنَا .

(تمَّتْ)

الكتاب القادم

حفصة بنت عمر بن الخطاب (١)

(شرف الزواج من الرسول ﷺ)

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٣٦٤٤

الترقيم الدولي : ٥ ـ ٥٨١ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧